

التصورات الاجتماعية لوظيفة المدرسة في المجتمع الجزائري

Social perceptions of the school function in Algerian society

الباحثة: صباح قصبة، جامعة بسكرة، الجزائر. Mail : Sabahgossa732@gmail.com

أ.د / الأزهري العقبي، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر. Mail : l.logbi66@yahoo.com

تاريخ القبول : 2017/09 /22

تاريخ الاستلام : 2017/7/19

الملخص:

يحاول هذا المقال أن يناقش موضوع التصورات الاجتماعية لوظيفة المدرسة في المجتمع الجزائري فالمدرسة كباقي المؤسسات الاجتماعية تعد موضوعا للتصورات الاجتماعية، وخاصة فيما يخص الوظيفة التي تقوم بها في المجتمع، فمع التطور الحاصل في المجتمع وتطور وسائل الاتصال وتوفر المعلوماتية، هل المجتمع وخاصة الأولياء يتصورون ان المدرسة مازالت تقوم بوظيفتها الموكلة اليها من طرف المجتمع؟، هل مازلت المدرسة في تصور المجتمع (تربي، تعلم، وتخلق ..)؟. الكلمات المفتاحية: التصورات الاجتماعية؛ الوظيفة المدرسة؛ المدرسة .

Abstract:

This article attempts to discuss the social perceptions of the school function in Algerian society., The school, like other social institutions, is the subject of social perceptions, especially with regard to the function it performs in society, with the development of society and the development of means of communication and the availability of information. Does the community, especially the parents, think that the school is still performing its function entrusted to it by the community? Is the school still in the perception of the society (educating, learning, creating ...)?

Key words: Social perceptions, job school, school

مقدمة:

العلاقة بين المدرسة والأسرة تطبعها تفاعلات مختلفة ,وهي ليست راجعة إلي التجانس أو الاختلاف بين الثقافتين المدرسية والأسرية فقط وإنما مرده إلي التوجهات والاهتمامات الأسرية في المجتمعات بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة والتي تختلف حسب تصوراتها للمدرسة ووظيفتها والتي تتغير حسب الانتماء الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والتأثر بالتطورات الحاصلة، فالتصورات الاجتماعية كشكل من أشكال المعرفة الاجتماعية يمكن تطويرها وقياسها، ولها نظرة تطبيقية مرتبطة ببناء الواقع المشترك لمجموعة من الأفراد نحو ظواهر أو مواضيع أو مؤسسات اجتماعية، والمدرسة كباقي المؤسسات الاجتماعية تعد موضوعا للتصورات الاجتماعية المختلفة التي يبنها الفاعلون المشاركون في هذا المجتمع المصغر، كالأباء والأساتذة هؤلاء الفاعلون هم من يشاركون في وضع تصور لوظيفة المدرسة، ودورها في إعداد النشء فالمدرسة هي المؤسسة التي تعمل على إعداد الأجيال وتهيئهم ليكونوا رجال المستقبل مسلحين بسلاح العلم والمعرفة، والقيم الإنسانية.

فلقد تعاضم دور المدرسة على مر التاريخ حتى أخذ أبعادا مختلفة بفعل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الحاصلة، ومع التطور التكنولوجي والتسارع العلمي أصبحت مهمة المدرسة أكثر تعقيدا وأصبح التعليم يعتمد على التكنولوجيا في تقديم المعارف المختلفة، كما أصبحت هناك مصادر مختلفة تنقل المعرفة، فدور المدرسة لا يقتصر على تلقين الفرد جملة من المعارف والمعلومات التي تحتويها الكتب والمواد الدراسية بل تتعداه إلى تلقين الطفل القيم والمبادئ الأخلاقية والاتجاهات الدينية، حيث يرى **جولد ييمون** بان التربية هي التي تكون أداة إلى النمو العقلي وازدهار النفس بالأخلاق الفاضلة.⁽¹⁾

تعمل المدرسة، اليوم على تحقيق عدد كبير من المهام التربوية .ومن بين هذه المهام التي تقوم بها يمكن أن نذكر على سبيل المثال، وليس الحصر، جملة من الوظائف أبرزها: تحقيق التربية الفنية، والتي تتمثل في الموسيقى والرسم والأنشطة الفنية الأخرى، ثم التربية البدنية، والتربية الأخلاقية والروحية، والتربية الاجتماعية، وتحقيق النمو المعرفي، وأخيرا التربية المهنية.

اهتمت الدولة الجزائرية بعد الاستقلال بهذا القطاع، وبذلت جهودا كبيرة بشرية ومادية لتلبية متطلبات التنمية وتلبية طموحات الأفراد في العمل والتعلم. وقد تم ذلك بالفعل، إذ ضمنت الدولة لكل واحد الحق في التعليم، وفي العمل، وفي العديد من الامتيازات، فتزايد الإقبال على التعليم بمختلف

أشكاله، وزاد اهتمام الأسر الجزائرية بالمدرسة حيث ،أصبح الوالدين يهتمان بتمدرس أبنائهم منذ دخولهم المرحلة الأولى من التعليم.

مع التحولات التي تحصل في المجتمعات عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة ،واتساع مجالات المعرفة وانتشار الوعي الديمقراطي ،وكنتيجة للتمدرس الواسع الذي عرفته جميع الفئات في المجتمع برزت اهتمامات من قبل الأسر فيما يخص تدرس أبنائهم ،لان المدرسة كمؤسسة اجتماعية تعبر عن تصورات وأمال وطموحات الآباء لمستقبل أبنائهم في جميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية العلمية، بحيث أن هذه الاهتمامات الأسرية تختلف تصوراتها للمدرسة ووظيفتها حسب الانتماء الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ،وهو ما يعني أن هذه التصورات الاجتماعية لها علاقة بالتغير الذي شهده المجتمع الجزائري .

إذن سيعالج هذا المقال التصورات الاجتماعية لوظيفة المدرسة، محاولين بذلك الإجابة عن التساؤل الرئيسي: ما هي التصورات الاجتماعية لوظيفة المدرسة في المجتمع الجزائري؟

I. التصورات الاجتماعية:

يعد مفهوم التصور قديما قدم الفلسفة الإغريقية، ولكنه كمفهوم إجرائي يعتبر حديثا نسبيا،حادثة ظهوره في الخطاب التربوي أين ثبتت أهميته في مختلف التطبيقات خاصة فيما يتعلق بالمبادئ البيداغوجية، ولاسيما أن هذه الأهمية برزت وتجسدت في أبحاث ودراسات لعلماء قدامى أمثال:"إيمانويل كانط"، "دوركايم"، وغيرهم في ميدان المفاهيم والمدرجات المعرفية.

إن مفهوم التصورات ارتبط بشكل مباشر بالمجال السوسيولوجي التقليدي، وحديثا بالسوسيولوجية الأوربية، خصوصا الفرنسية، واحتل مكانة متميزة في الأنظمة الفلسفية، استعمل في الأدبيات الماركسية، و اشتهر بالخصوص مع دوركايم، غير أن هناك اختصاصين رئيسين تبلور من خلالهما مفهوم التصورات الاجتماعية كحقل للاستقصاء: السوسيولوجيا مع "دوركايم" و علم النفس الاجتماعي من خلال دراسات "سيرج موسكوفيشي و جودلي و أبريك و غيرهم⁽²⁾.

1. مفهوم التصور:

أ-لغة :

-ورد في المنجد في اللغة والإعلام:(1986) : تصورت الشيء بمعنى توهمت صورته،فتصور لي (3).

-كما جاء في المعجم الفلسفي (1971)، التصور هو:" كل عمل منطبق على شيء ويدل كذلك على فعل العقل الذي ندرك به المعاني وتآلفها"(4).

إذن يشير هذا التعريف إلى أن التصور هو فعل العقل والذي يقوم بإحضار شيء كان غائبا ,ومنه فالتصور عملية بناء.

ب-اصطلاحاً :

-التصور: هو استحضار الأشخاص أو الأشياء إلى الذاكرة أو الذهن.

-مفهوم التصور حسب سارج موسكوفيشي : يرى بأن التصور هو إعادة إظهار الشيء للوعي مرة ثانية رغم غيابه في المجال المادي، وهذا ما يجعله عملية تجريدية محضّة، إلى جانب كونه عملية إدراكية فكرية".

يرى أيضا بأن التصور هو عبارة عن العلاقة بين المفاهيم والمدرجات، أي بين ما هو محسوس وما هو مجرد؛ و يتم عندما يتلقى الفرد مثيرا خارجيا (فكرة، حادثة، معلومة)، و هذه المعالجة تختلف من فرد إلى آخر حسب عوامل ذاتية تتعلق بشخصية الفرد مثل: المهنة، التكوين، وعوامل غير ذاتية مثل العائلة و المجتمع و نتيجة هذا التفاعل يتكون التصور (5).

2-مفهوم التصورات الاجتماعية:

"هي شكل من أشكال المعرفة، منتجة اجتماعياً ومقتسمة، تستهدف غاية عملية وتسعى إلى بناء واقع مشترك لمجموعة اجتماعية.سنتطرق هنا إلى تعريف إميل دوركايم، إذ يقول: "أن التصورات الاجتماعية تتأسس على شكل قيم و معايير وأفعال وعادات، وهي تمثل إنتاج اجتماعي تتأثر بالتجديد والتطور في الحياة. كما إنها تتشكل انطلاقاً من الأوضاع والمواقف و الميولات الثقافية و التي تحكم رؤية المجتمع إلى العالم، كما تحكم أنماط تفكيره وأسلوب عيشه والمعايير المعتمدة فيه حسب الأولويات (6).

وكأمثلة على ذلك في مجتمعاتنا، مجموعة من العادات والقيم و السلوكات والآداب التي نتمسك بها ونمارسها في حياتنا اليومية في مختلف المؤسسات الاجتماعية التي نعيش فيها والمواقف التي

نتخذها تجاه موضوع ما او مؤسسة كما هو الحال في موضوع دراستنا تصور المجتمع لوظائف المدرسة، فهناك تنوع كبير في التصورات المجتمعية للمسألة المدرسية حيث تنظر كل فئة اجتماعية الى المدرسة من خلال تصوراتها الخاصة. فهناك الطلاب والمعلمون والآباء والإداريون وكل منهم يتخذ موقفا من وظيفة المدرسة ودورها في الحياة وفقا لمصالحه وتطلعاته وطموحاته.

II. الوظيفة المدرسية:

1. المدرسة

يعرفها "محمد صقر" أنها مؤسسة اجتماعية من المؤسسات التنشئة الاجتماعية دورها تكوين للأفراد من مختلف النواحي في إطار منظم وفق مبادئ الضبط الاجتماعي. أما "عصمت مطاوع": يعرف المدرسة على أنها تلك المؤسسة الاجتماعية التي أنشأها المجتمع عن قصد ووظيفتها الأساسية تنشئة الأجيال الجديدة لما يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع الذي تعدهم (7).

يعرفها "إميل دور كايم": هي عبارة عن تعبير امتيازي للمجتمع الذي يوليها بأن تنقل إلى الأطفال قيما ثقافية وأخلاقية واجتماعية يعتبرها ضرورية لتشكيل الراشد، وإدماجه في بيئته ووسطه. (8)

يعرفها "رابح تركي": هي تلك المؤسسة التربوية المقصودة والعامّة لتنفيذ أهداف النظام التربوي في المجتمع. (9) يمكن أن ينظر إلى المدرسة على أنها "مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع عن قصد، لتتولى تنشئة الأجيال الجديدة بما يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع الذي تعدهم له، كما تعمل على تنمية شخصيات الأفراد تنمية متكاملة ليصبحوا أعضاء إيجابيين في المجتمع.

وتعرف أيضا المدرسة على أنها "تقوم بإعداد الطفل وتنمية قواه ومواهبه إعدادا فرديا وتتيح له الفرص للنمو الكامل، وإعدادا اجتماعيا يوجه هذا النمو لينسجم مع نمو بقية أعضاء المجتمع ليحقق رغباته وليفهم نظمه ويتقبلها ويحترمها ويعمل على إصلاح الفاسد منها.

أما المفهوم السوسولوجي للمدرسة:

تعتبر المدرسة نظاما معقدا ومكتثفا ورمزيا من السلوك الإنساني المنظم الذي يؤدي بعض الوظائف الأساسية في داخل البنية الاجتماعية وهذا يعني بدقة أن المدرسة ، كما تبدو لعالم الاجتماع

تتكون من السلوك أو الأفعال التي يقوم بها الفاعلون الاجتماعيون، ومن المعايير والقيم الناعمة للفاعليات والتفاعلات الاجتماعية والتربوية في داخلها وفي خارجها.

2. تعريف الوظيفة:

في الاصطلاح: جاء في قاموس "عاطف غيث" أن الوظيفة هي " : النتيجة أو النتائج المترتبة على نشاط اجتماعي أو سلوك اجتماعي، وغالبا ما ترتبط الوظيفة في العلوم الاجتماعية بالأنماط الثقافية والبناءات الاجتماعية والاتجاهات.

ويري روبرت ميرتون " : إن الوظيفة هي تلك النتائج أو الآثار التي يمكن ملاحظتها والتي تؤدي إلى تحقيق التكيف والتوافق في نسق معين. كما يعتبر "بارسونز" مفهوم الوظيفة أساسيا لفهم أي نسق من الأنساق الاجتماعية، فالوظيفة تمثل النتيجة المنطقية لمفهوم النسق فهي توضع طبيعته وتعمل على تكيفه مع بيئته. ومن هذه التعريفات للوظيفة يمكن استخلاص مفهوم للوظيفة المدرسية:

3. الوظيفة المدرسية:

هي الدور الذي تلعبه المدرسة كجزء من الكل (المجتمع)، أي دور المدرسة كنظام في البناء الاجتماعي الشامل، أي أن درجة الاستمرار والاطراد في البناء هي التي تحقق وحدته وكيانه ولا يمكن أن تتم إلا بأداء وظيفة هذا البناء أي الحركة الديناميكية المتمثلة في الدور الذي تلعبه المدرسة كنظام أو نسق في داخل البناء الاجتماعي الشامل.

كما يمكن القول أن مفهوم الوظيفة المدرسية يشير إلى مساهمة المدرسة كمؤسسة اجتماعية للحفاظ على النظام في إطار التعامل مع الآخرين، بحيث تقوم بوظائف متعددة، مثلا كالقيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية.

III. وظائف المدرسة:

كثيرا ما ينظر إلي المدرسة علي أنها مجرد مكان يؤمه الأطفال، ويتوافد عليه قوافل الأجيال لقضاء فترة من الزمن يتلقون فيها مجموعة من المعارف والمهارات، وهي في الحقيقة أوسع من ذلك وأدق وأكثر التصاقا بالحياة الاجتماعية في مختلف مستوياتها⁽¹⁰⁾.

يرى جويل روسني أن وظيفة المدرسة لا تقف عند حدود نقل المعارف الموجودة في بطون الكتب فحسب، وإنما في عملية دمج هذه المعارف في أوساط المعنيين بها .

وينظر جون ديوي إلى المدرسة بأنها مؤسسة اجتماعية تعمل على تبسيط الحياة الاجتماعية واختزالها في صورة أولية بسيطة .

كما يري " ديوي ": أن المدرسة هي قبل كل شيء مؤسسة أوجدتها المجتمع لإنجاز عمل خاص، هو الحفاظ على الحياة الاجتماعية وتحسينها.

وتكمن وظيفة المدرسة، كما يرى " كلوس"، في تحويل مجموعة من القيم الجاهزة والمتفق عليها اجتماعياً، وقد مارست المدرسة هذا الدور في العصور الوسطية كما هو الحال في القرن التاسع عشر⁽¹¹⁾.

ومما لاشك فيه أن المدرسة تمارس وظائف اجتماعية وتربوية متعددة، وتباين هذه الوظائف بتباين المجتمعات، وتباين المراحل التاريخية المختلفة.

في إطار هذا التنوع الوظيفي للمدرسة يمكن لنا أن نستعرض وظائف أساسية في المدرسة وهي:

1. الوظيفة التعليمية :

غني عن البيان أن المدرسة تضطلع بالمهمة التعليمية التي تقوم علي تزويد المعلومات للتلاميذ بالمعارف الأساسية وتدريبهم علي القراءة والكتابة ومبادئ الحساب ، وطرق التفكير العلمي والمنطقي، كما تقوم باطلاع التلاميذ علي معطيات الوسط الطبيعي والاجتماعي الذي يعيشون ضمنه يتسنى لهم فهم الخصوصيات المحلية والتكيف الحسن معها ، وتدرجياً في مراحل لاحقة، اطلاعهم علي معطيات أوساط طبيعية واجتماعية أخرى.

أن المدرسة أساسا تقوم في مجال الوظيفة التعليمية بعمليات نقل المعرفة ، والتزود بوسائل الحصول عليها خصوصا أمام تراجع دور الأسرة في المجتمعات الحديثة في القيام بالوظيفة التعليمية ، غير أن الاتجاهات الحديثة في التوظيف الاجتماعي لا تكتفي بان تقصر الوظيفة التعليمية للمدرسة علي ما سبق ذكره ، بل توسعها لتشمل مجالات أربع هي⁽¹²⁾:

بمجال التعليم للمعرفة وبمجال التعليم للعمل، وبمجال التعليم للعيش مع الآخرين وبمجال التعليم لتحقيق الذات .

كما ان المدرسة وسيلة للتجديد والتغيير فهي مصدر من مصادر الإشعاع الفكري ،وهي بذلك تسير التطور السريع بمجال العلم والمعرفة (13) .

2. الوظيفة الأخلاقية:

المدرسة جزء من المجتمع وعلى ذلك يمكننا اعتبار أن وظيفة المدرسة الأخلاقية هي وظيفة لا غنى عنها، إذا أردنا مجتمعاً أخلاقياً، فلا بد أن تقوم المدرسة بتدعيم القيم الأخلاقية في نفوس تلاميذها ومقاومة ما هو عكس ذلك. ويمكن للمدرسة أن تساعد تلاميذها على فهم العالم المحيط بهم وجعلهم يكتسبون القيم المرغوب فيها عن طريق الممارسات الفعلية (14) .

كما تحرص المدرسة على تربية التلميذ وتعوده على الأخلاق الفاضلة من صدق وإيثار وإحسان وتعاون مع الآخرين وتوقير للكبار ورحمة بالضعفاء، كما تعمل على تهذيبه وتخليصه من الخصال السيئة من كذب وأثرة وأنانية وقسوة، وذلك من خلال ما يلقن له من مبادئ وما يعرض عليه من نماذج لذوي الأخلاق الحسنة وما تحقق لهم من خير في حياتهم، ولقد ركز الدين الإسلامي علي أهمية الأخلاق في بناء الأمم في الكثير من المواقع فقول الله تعالى وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْإِتْمِينُ صَبْرًا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (15) وقوله أيضا " وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " (16) .

وقول الرسول عليه الصلاة والسلام "أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوي الله وحسن الخلق" وقوله "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وهنا يقول الشيخ الإبراهيمي: وهو يخاطب جمهوراً من المعلمين " احرصوا كل الحرص أن تكون التربية قبل التعليم واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم واجعلوها حاديتكم في تربية هذا الجيل الصغير ،وهاديتكم في تكوينه وهي :إن هذا الجيل الذي انتم منه لم يأتي في خيبته في الحياة من نقص في العلم وإنما خاب أكثر من نقص في الأخلاق فمنهما كانت الخيبة ومنهما كان الإخفاق" (17) ومن هذا القول نستنتج مدي أهمية الوظيفة الأخلاقية للمدرسة .ويقول " بياجيه "يجب أن تسعى الأهداف التربوية في المدرسة إلى تحقيق

نمو متكامل لشخصية الإنسان وتعزيز الحريات الأساسية في ذاته، بشكل يساعده على الاستقلال الفكري والأخلاقي، وتحترم هذا الاستقلال لدى الآخرين.

3. الوظيفة السياسية:

يرسم كل مجتمع السياسية التي يرتضيها لنفسه، والتي تحقق له غاياته وأهدافه في مختلف مجالات الحياة وميادينها. والسياسة هي أداة المجتمع في توجيه الطاقات والفعاليات المجتمعية نحو أهداف منشودة ومحددة، وهي بالتالي معنية بتحقيق التوازن بين جوانب الحياة الاجتماعية ومؤسستها المختلفة.

وتقوم بين مؤسسة المدرسة، والمؤسسة السياسية، علاقات جدلية عميقة وجوهرية. فالمؤسسة السياسية معنية بتحديد أهداف التربية وغاياتها وتحديد استراتيجيات العمل المدرسي ومناهجه، لتحقيق أغراض سياسية اجتماعية قريبة أو بعيدة المدى. وغالباً ما ينظر إلى المدرسة بوصفها حلقة وسيطة بين العائلة والدولة، لتحقيق الغايات الاجتماعية التي حددها المجتمع لنفسه. وتبين القراءة التاريخية لعمل المدرسة ووظيفتها بوضوح، أن عمل المدرسة ومهمتها تتغير بتغير أنظمة الحكم القائمة والأيدولوجيات السائدة (18).

4. الوظيفة الاقتصادية :

يكمّن العامل الاقتصادي في أصل نشوء المدرسة، وخاصة في مرحلة الثورة الصناعية الأولى، التي تطلبت وجود يد عاملة ماهرة قادرة على استخدام التكنولوجيا الحديثة المتطورة. وكان على المدرسة في هذه المرحلة أن تلبي حاجات الصناعة النامية من اليد العاملة المؤهلة. وما تزال المدرسة تسعى إلى تلبية احتياجات التكنولوجيا الحديثة من فنيين، وخبراء، وعلماء، وأيد عاملة، لقد بدأت المدرسة ترتبط تدريجياً، وعلى نحو عميق مع المؤسسات الاقتصادية الإنتاجية، ويتجسد ذلك في المدارس الفنية والمهنية، التي تتصل بشكل مباشر بعجلة الإنتاج الصناعي المتطور، وغني عن البيان إن المدرسة تلعب دوراً هاماً في زيادة الدخل القومي، وتحقيق النمو الاقتصادي في البلدان المتطورة النامية على حد سواء. وفي هذا الصدد تشير "دراسة "دونيزون" التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1962، أن 23% من نسب النمو الاقتصادي، في الولايات المتحدة الأمريكية، يعود إلى تطور التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية (19).

وفي هذا الصدد يقول "الفريد ماريشال" "إن فئة متعلمة من الناس لا يمكن إن تعيش فقيرة" هذه المقولة التي ضمنها "مصدق جميل الحبيب" في دراسة تربوية اقتصادية حول التعليم، والتنمية الاقتصادية في العراق، يستفاد منها أن التعليم الجيد مدخل لإصلاح أحوال الناس فيما يصطلح عليه "التنمية" الأمر الذي ينعكس إيجابيا علي رضي الناس بهذا التوازن (20).

كما اتجه "شولتز" في بحثه الرائدة في مجال قياس العائد الاقتصادي للتعليم إلى فكرة الاستثمار في البشر مباشرة، كما اعتبر أن هذا الاستثمار هو الذي يفسر ما تتميز به ظاهرة النمو الاقتصادي في البلدان المتقدمة، وإن مفتاح الاستثمار البشري يكمن في التربية والتعليم (21) وقد كان للاقتصادي الإنكليزي آدم سميث فضل السبق على معاصريه في الإشارة إلى أهمية رأس المال البشري ودوره في الدخل الاقتصادي القومي، والذي سبق له القول أن الرجل المؤهل علميا يمكن أن يقارن بإحدى الآلات المتطورة والحديثة والمكلفة في مجال الإنتاج والتوظيف والاستثمار، وتشير نتائج إحدى الدراسات "إنتاجية العامل ألامى ترتفع بنسبة 30% بعد عام واحد من الدراسة الابتدائية، ونحو 320% بعد دراسة 13 عاما، وتصل إلى 600 % بعد الدراسة الجامعية".

لم تبق هذه الحقيقة الاقتصادية اليوم سرا مرهونا بالاختصاصين فحسب، فلقد بدا الناس يدركون أهمية التحصيل العلمي في رفع مستوى الإنتاج ومستوى الدخل على المستوى الفردي كما على المستوى القومي. وفي هذا الخصوص" يشير "ريموند بدون" إلى ذلك الأمر في كتابة الحراك الاجتماعي ويؤكد أن صورة التعليم بدأت تأخذ مكانها في عقول الناس على أنها عملية توظيف واستثمار وعائدات، حيث بدأ الناس ينظرون إلى المدرسة من مفاهيم العرض والطلب والتوظيف والعائدات... الخ ينظر اليوم أصحاب النزعة الاقتصادية إلى المدرسة في جوانبها الاقتصادية. ويعملون على دراسة حركتها وفاعليتها بوصفها مؤسسة إنتاجية تطرح نتاجا من الشهادات والناس في أسواق العمل، وهو نتاج تتباين أهميته وجودته بتباين المدة الدراسية، ونوع الدراسة والفرع العلمي، ومدى أهمية الاختصاص في سوق العمل وفقاً لمبدأ العرض والطلب الاقتصادي (22).

5. الوظيفة الثقافية:

تعد الوظيفة الثقافية من أهم الوظائف التي تتولاها المؤسسات المدرسية. فالمدرسة تسعى إلى تحقيق التواصل والتجانس الثقافي في إطار المجتمع الواسع. وتأخذ وظيفة المدرسة الثقافية أهمية متزايدة وملحة كلما ازدادت حدة التناقضات الثقافية والاجتماعية، بين الثقافات الفرعية القائمة في إطار

المجتمع الواحد: كالتناقضات الاجتماعية، والعرقية، والجغرافية، وهي التناقضات التي يمكن أن تشكل عامل كبح يعيق تحقيق وحدة المجتمع السياسية، ومدى تواصله الثقافي وتفاعله الاقتصادي. وقد تجلت أهمية هذه المسألة في مرحلة نشوء وتكون الأسواق القومية في أوروبا في مرحلة الثورات البرجوازية، وهي الثورات التي اقتضت وجود ثقافة واحدة لمجتمع اقتصادي واحد. ولقد لعبت المدرسة، وما تزال تلعب، دورا يتميز بالأهمية في تعزيز لغة التواصل القومي بين جميع أفراد المجتمع وتحقيق الوحدة الثقافية عبر تحقيق التجانس في الأفكار والمعتقدات، والتقاليد والتصورات السائدة في المجتمع الواحد.

وليس غريبا أن يكون **دوركايم** قد أكد، منذ مطلع القرن العشرين، على أهمية الوظيفة الثقافية للتربية المدرسية وهو القائل "الإنسان الذي يجب أن تحققه فينا ليس الإنسان علي غرار ما خلفته الطبيعة بل الإنسان علي نحو ما يريده المجتمع. والإنسان الذي تريد المدرسة والتربية أن تحققه فينا ليس سوي الإنسان النموذج للثقافة الاجتماعية السائدة والتي يشير إليها **دوركايم** في أكثر من موضع كصورة للعقل الجمعي المشترك الذي يتجسد فيما حدده المجتمع لنفسه من معايير سلوكية وعقائد وتصورات مشتركة للثقافة والوجدان الاجتماعي (23).

6. المدرسة والتنشئة الاجتماعية:

في حقيقة الأمر فإن مهمة المدرسة لا تقف، كما يعتقد كثيرون عند حدود بناء المعرفة في عقول الأطفال بل تسعى في حقيقة الأمر إلي تنشئة الأطفال وتكوينهم نفسيا وعقليا وأخلاقيا، وتكفي الإشارة في هذا الصدد إلي أن **الأطفال يقضون ما يقارب ست عشرة سنة على مقاعد المدرسة**، وهذا بحد ذاته يجعلنا ندرك أهمية الوظيفة التربوية للمدرسة التي تمارس دورا ينقطع نظيره في عملية بناء شخصية الفرد وتشكيل كينونته الإنسانية (24).

فنظرا للتغيرات التي تعرفها المجتمعات العصرية، أن مسألة التنشئة الاجتماعية لم تعد حكرا علي الأسرة، ومرد ذلك إلي التصنيع الذي نتج عنه تحديث المجتمعات وتطورها وهذا التحول أدي إلي إضعاف دور الأسرة واضطلاع المدرسة بوظيفة التنشئة الاجتماعية، كما أن ضعف دور الأسرة مرده إلي انفتاح فرص التعليم علي كافة الشرائح الاجتماعية، ومن ثم تصبح المؤسسة المدرسية هي المسلك الرئيسي، أن لم يكن الوحيد للحصول علي مكسب للرزق .

ومن جهة تخري هناك عامل آخر يكمن وراء اضطلاع المدرسة بوظيفة التنشئة الاجتماعية، وهو أفول عامل الوراثة في تحديد المكانة الاجتماعية، ذلك أن هذه المكانة أصبحت تكتسب عن طريق

التعليم، ومن هذا المنطلق، نستخلص أن مكانة الفرد داخل الأسرة تكتسب أساساً من خلال السن والجنس، أما مكانته الاجتماعية، فإنه يكتسبها عن طريق المدرسة، من خلال التنافسية التي يخوضها في أفق اكتساب مهنة معينة، يحقق بها مكانته داخل المجتمع⁽²⁵⁾، وبهذا المعنى تشكل المدرسة عاملاً رئيساً للحركة الاجتماعية.

فالمدرسة إذن ليست بناء يستظل به المعلمون والتلاميذ محدودة من النهار، ولكنها ورشة عمل يشارك فيها الجميع لتحقيق الأهداف المرجوة، كما أنها تعمل على ديمومة ثقافة المجتمع وتمييزها وتوفير البيئة الملائمة للحفاظ على قيم المجتمع واتجاهاته ومعايير السلوك فيه مما يؤدي إلى حصول التطبيع الاجتماعي⁽²⁶⁾.

7. وظيفة تحريرية وتغيرية:

في الوقت الذي تسعى فيه التربية إلى المحافظة على الإرث الثقافي والحضاري، في الوقت الذي ينتظر منها أن تقوم بفعل التغيير والتطوير للمجتمع، وتحريره بواسطة تلك المعرفة العلمية، ومسايرة الاتجاهات والقيم التنموية والتحديثية التي سهلت -إلى حد ما- وسائل تداولها وتبادلها. وتبدو خطورة هذه الوظيفة التغييرية للتربية إذا أدخلنا في الاعتبار متغيراً هاماً وهو أن المجتمعات السائرة في طريق النمو تشهد جلها تحولات كبرى على المستوى البنائيات التحتية المادية، وكذلك على مستوى الأنساق القيمية والثقافية، مع اختلاف حدة هذه التحولات وتنوعها من سياق مجتمعي إلى آخر، إلا أنه لوحظ إن هذه التحولات الاجتماعية بدل أن تخدم الاتجاهات التنموية والتحديثية ذات التوجه المستقبلي، نجدها تكاد تتحول في بعض المجتمعات إلى عوائق ذاتية: فبينما نشهد، على مستوى السلوكات اليومية كثيراً من مظاهر التغيير والتطوير، بل والتمرد والثورة أحياناً، نلاحظ تحجراً وتقهقراً على مستوى القيم والمعتقدات والاتجاهات أحياناً أخرى، بيد أن هذا الوضع ينبغي ألا يوقعنا في تصور ميتافيزيقي لطبيعة الإنسان الغالبي التي تقدمها بعض الطروحات الاستشراقية على أنها طبيعة مقاومة للتغيير والتجديد، بل علينا أن نبحث عن تفسير علمي لذلك في الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية⁽²⁷⁾.

وعليه فإن الوظيفة التحريرية للتربية المدرسية هي مسألة اختيار اجتماعي، ولذلك فهي مسألة لا تفصل فيها المطامح أو الأهواء أو النوايا بقدر ما تعود إلى نوعية وخصوصية الشروط الذاتية والموضوعية للمجتمع المعني.

كما يذهب بعض الباحثين أن رسالة المدرسة الأساسية هي غرس الصفات الإيجابية في الشخصية هذه الصفات التي تتضمن مقدمات الصحة النفسية، والتي تعد بدورها أهم مقومات الشخصية المتوازنة، كما يفصل بعضهم في وظيفتها الحافزة على الابتكار والخلق إذ ينبغي على المدرسة أن تنمي ما يسمى بالطبيعة الثالثة للفرد وهي التي تعبر عن نفسها في نمو ذكاء الفرد، ونمو سلوكه على نحو يجعله فريداً في ذاته مبدعاً، خلاقاً في ثقافته وبيئته، وقد تعد هذه الوظيفة أعلى وظائف التربية المدرسية مرتبة وخاصة في المجتمعات التي تعيش تغيرات سريعة جذرية تحتاج من الأفراد خلقاً، وإبداعاً وابتكاراً وتجديداً في أساليب حياتهم وفي القيم الجديدة وتحقيقها في علاقاتهم وأنظمتهم (28).

إن العلاقة بين الأسرة والمدرسة هي علاقة تبادلية يجب أن توثق حتى تخدم الطرفين، فالمدرسة هي مؤسسة اجتماعية داخل المجتمع، وجدت لتعليم أبنائه وحفظ تراثه، وقيادته للتغيير الذي يؤدي إلى تقدمه وازدهاره، فالمدرسة وجدت لتحقيق حاجات الأسرة بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة وتفسيرها، فالمدرسة داخل هذا البناء الاجتماعي ليست منعزلة في وجودها، بل هي جزء لا يتجزأ منه، فهي لا تستطيع أن تعيش بمعزل عما يدور في المجتمع، فهناك الكثير من المشاكل التي تواجه العملية التعليمية داخل المدرسة، قد تكون الحلول اللازمة لها تقع خارجها، ولذلك فقد أنشأت مجالس الآباء والمعلمين والمجالس المدرسية، بدافع إيجاد قنوات اتصال دائمة بين المدرسة والأسرة، وهناك الكثير من الأنشطة والبرامج المدرسية التي يمكن للوالدين المشاركة فيها، من أجل توثيق الصلة فيما بينهما، وعليه فقد أنشأت التربية الحديثة ما يعرف بمجالس الآباء.

ولقد أكدت الدراسات والأبحاث أن المدرسة وسيلة أساسية لنمو المجتمعات، وتطور تراثها وثقافتها الحضارية، ومواكبتها للمعطيات المعاصرة من تقدم علمي وتكنولوجي وثورة معرفية. وفي هذا المجال فالمدرسة بحاجة إلى رعاية كاملة من المؤسسات المجتمعية الأخرى للنهوض بها وتمكينها من فاعلية الأداء، وإحاطتها بالظروف المناسبة التي تكفل لها تحقيق رسالتها، وأيضاً حمايتها من التحديات الخارجية والداخلية، التي قد تعوق أدائها ودورها الحقيقي. كما أن هناك العديد من الدراسات التي أكدت على العلاقة بين أولياء الأمور مازالت محدودة لعدة عوامل، منها غياب الوعي الكافي لأهمية الدور الذي تقوم به مجالس الآباء وعزوفهم عن المشاركة الفاعلة (29).

ومن هذا يمكن القول إن المجتمع أوجد المدرسة من أجل خدمة أبنائه وأعدادهم لمواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تمر بها المجتمعات اليوم، وحتى يتحقق ذلك لابد من

إحداث الفاعلية والتأثير الفعلي بين الأفراد والمجتمع وقيام كلاً منهم بمسؤولياته المستقبلية تجاه المدرسة و تفعيل دورها إزاء المجتمع.

8. تصور المجتمع لوظيفة المدرسة:

تنظر المجتمعات إلى المدرسة نظرة تختلف عن سائر المؤسسات، وتفترض فيها قدراً من المحافظة والانضباط أكثر مما تفترضه في سائر مؤسسات المجتمع. ويسمح المجتمع بأمور كثيرة في الشارع والصحافة ووسائل الإعلام لا يسمح بها في المدرسة، وكثير مما يمارسه الناس بكل حرية خارج المدرسة لا يمكنهم ممارسته داخل المدرسة. وهي نظرة ليست قاصرة على مجتمع بعينه؛ فالمجتمعات المنحلة هي الأخرى تعد فيها المدرسة أكثر مؤسسات المجتمع انضباطاً.

يعقد الوالدين على المدرسة آمالاً واسعة، وينظرون إليها بقدر من الثقة يختلف عن أي مؤسسة أخرى. كثير من الآباء لا يسمح لابنه أن يشارك في نشاط خارج المدرسة، أما حين يكون النشاط مرتبطاً بالمدرسة وتحت إشرافها فمعظم هؤلاء لا يترددون في الموافقة. والعديد من الآباء والأمهات يتصلون بالمدرسة يطلبون منها أن تحل مشكلات تربوية يجدها في أولادهم، والآباء الأميون يصعب إقناعهم بتغيير أساليبهم التربوية، لكن حين تكون المطالبة من المعلم أو المدرسة فإنهم يستجيبون ويغيرون كثيراً من قناعاتهم⁽³⁰⁾.

كما ينظر الآباء أيضاً إلى المدرسة بوصفها السبيل الذي يضمن لأبنائهم مكاناً أفضل في دائرة الحياة الاجتماعية في المستقبل، ومن هذا المنطلق يحرصون على استمرار أطفالهم في الرهان المدرسي لفترات زمنية أطول قدر الإمكان وذلك لأنهم يعتقدون بأن أطفالهم سيحصلون في النهاية فوائد كبيرة من الاستمرار في عملية التمدد على فترات طويلة. ومن جهة ثانية يرى الآباء في المدرسة رمزاً لمجتمع هرمي مقسم إلى طبقات اجتماعية ولذلك فإن كثيراً من الشباب يرفضون الانضمام إلى هذا النظام ويرفضونه⁽³¹⁾.

كما يشير ماريني إلى أنه كيف ما كان موقف اتجاه الطموحات الأسرية بالقبول أو الرفض، فإن تأثيرها على مردوديته الدراسية غالباً ما يكون إيجابياً، كما يبين ويؤكد **مارجور بانكس** إن تأثير طموحات الأبوين يكون واضحاً حتى على مشروعه الدراسي المستقبلي.

فطموحات الآباء المدرسية والمهنية ليست مجرد طموحات فردية خالصة، لأن هذه الطموحات تصدر عن واقع اجتماعي أو بيئة اجتماعية معقدة، تتداخل فيها المعطيات والقرائن والدلالات. فالطموحات تتغير بتغير البنية الاقتصادية، والمناخ الثقافي والاجتماعي للعائلة، ونمط المدرسة والنمط اللغوي السائد، وغير ذلك من متغيرات الوسط الاجتماعي. وهذا يعني أن الطموحات المدرسية والمهنية تأخذ صورة ظاهرة اجتماعية، وذلك لأن النجاح المدرسي يرتكز بعدد كبير من المتغيرات الاجتماعية التي تتعلق بالوضع الاقتصادي والثقافي والاجتماعي الذي يحيط بالأفراد ويؤثر في مختلف لحظات تقدمهم ونجاحهم في المدرسة والمهنة والتعليم.

وإذا أردنا التعرف على تصورات الأسر الجزائرية للمدرسة وجب علينا التعرف على تاريخ المدرسة الجزائرية وموقف الجزائريين من التعليم.

IV. لمحة تاريخية عن المدرسة الجزائرية وموقف الجزائريين من التعليم:

إن التعليم الذي كان منتشرا في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي في عام 1830 هو التعليم العربي الإسلامي الذي يقوم أساسا على الدراسات الدينية واللغوية والأدبية وقليل من الدراسات العلمية، ومعاهده هي الكتاتيب القرآنية والمساجد والزوايا، وقد كانت منتشرة في الجزائر انتشارا كبيرا، لدرجة أن الدارسين لموضوع التعليم في الجزائر غداة الاحتلال، اندهشوا من كثرة المدارس القرآنية وكثرة المتعلمين ووفرة الوسائل المسخرة من أجل التعليم كالمداخيل الوقفية ومحلات الأوقاف.

وتجدر الإشارة إلى أنه في تلك الحقبة وجدت مرحلتان من التعليم، مرحلة ابتدائية ومرحلة ثانوية، وقد كتب الجنرال فاليري سنة 1834 أن "كل العرب الجزائريين تقريبا يعرفون القراءة والكتابة حيث توجد مدرستان في كل قرية (32)".

أما "الأستاذ إيميري" الذي درس الحياة الجزائرية في القرن التاسع عشر فقد أشار انه في قسنطينة وحدها قبل الاحتلال يوجد خمس وثلاثون (35) مسجدا تستعمل كمراكز للتعليم (وسبع 7 مدارس ثانوية يحضرها مابين ستمائة (600) وتسعمائة (900) طالب، وبخصوص المدارس الابتدائية فقد كان هناك تسعون (90) مدرسة يرئادها ألف وثلاثمائة وخمسون (1350) تلميذا. (33)

كما يعترف السيد "موريس كوميس" في تقرير له إلى مجلس الشيوخ الفرنسي بتاريخ الثاني من فبراير سنة 1894 بانتشار حركة التعليم وازدهارها في الجزائر قبل الاحتلال وتقلصها بعده فيقول : "كان التعليم العالي في أرض الجزائر يشمل جمهورا غفيرا من الناس المتعطشين للعلم والمعرفة يجلسون حول شيوخ علماء محترمين لا يتلقون عنهم علوم الشريعة وقوانينها فحسب ، بل يتلقون أيضا علوم الرياضيات والآداب والهيئة ، فكان نتيجة، الأمر الذي لم يرض السلطات الفرنسية في الجزائر ، فقد كانت هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي ، كان يتولى التدريس فيها نخبة من الأساتذة الأكفاء ، كما أن الطلاب كانوا من الشباب الناهض المتعطش للعلم والمعرفة ، هذا فضلا عن مئات المساجد التي كانت تعنى بتلقين اللغة العربية لطلابها."

ولقد كانت مدن :الجزائر ،وقسنطينة ،وتلمسان ،وبجاية ،ومازونة مراكز لأكبر المعاهد العلمية والتربوية في الجزائر قبل الاحتلال⁽³⁴⁾. إن هذه المعطيات والأقوال تبين الأهمية التي كان الجزائريون يولونها للتعليم وتمسكهم به والجدير بالملاحظة أنّ هذا التعليم كان يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية، فالآباء كانوا يسهرون على تعليم أطفالهم وكان المعلم والمتعلم موضع تقدير الجميع وحب العلم كان جزء من العبادة.

وعلى الرغم من غياب الدولة كجهاز رسمي وعدم وجود سياسة تعليمية، إلا أن التعليم انتشر انتشارا شمل كل المناطق ،وعليه يكمن القول أن الجزائريون بصفة عامة يشجعون العلم والثقافة ، ويعملون على نشر التعليم في ربوع الوطن.

1. بعد الاحتلال:

لم يتعرض رجال الاحتلال في السنوات الأولى لحركة التربية والتعليم التي وجدوها في الجزائر قبل دخولهم إليها بطريقة مباشرة لأنهم كانوا مشغولين عنها بإخضاع نواحي البلاد المختلفة لسيطرتهم، ولكنهم اتخذوا قرارا كان له تأثير كبير في القضاء على تلك الحركة في الأمد البعيد .ونعني به قرار وضع اليد على الأوقاف الإسلامية الذي أصدره الجنرال " دي بورمون " في 8 سبتمبر سنة 1830 ثم أصدره قادة الاحتلال قرارا آخر مكملا للقرار الأول في 7 ديسمبر سنة 1830 ينص على " حق التصرف في الأملاك الدينية بالتأجير أو الكراء "⁽³⁵⁾.

فالتعليم كان يعتمد اعتمادا كليا على الأوقاف في النهوض بمهمته وكانت الأوقاف من الكثرة بحيث يكفي دخلها للإنفاق عليها بسخاء كبير، لذلك عندما وضع رجال الاحتلال أيديهم على الأوقاف الإسلامية وتصرفوا في دخلها في أغراض أخرى غير التعليم والتربية، وعلى أثر هذا الاحتكار للأوقاف الإسلامية توقف التعليم في الجزائر عن أداء مهمته، وامتناع الأهالي عن إرسال أولادهم إلى المدرسة الفرنسية من جهة وهجرة المعلمين من جهة أخرى؛ حيث أظهر الجزائريون تخوفا من التعليم الفرنسي وامتنعوا عن إرسال أولادهم إلى المدارس الفرنسية واتخذوا أسلوب المقاطعة لمقاومة الثقافة الفرنسية، بل انهم رأوا في هذا التعليم تهديدا للقيم التي يحملونها ومحاولة للقضاء على شخصيتهم، هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى ذكرها مصطفى الأشراف "من العوامل التي جعلت الأهالي يلازمون موقف الحذر من التعليم الفرنسي رغم أنه لم يكن متاحا للجميع ما يلي:

- صمود الثقافة العربية في بداية الاحتلال.
- اختطاف الشبان الصغار وإرسالهم إلى فرنسا للانخراط في المدارس الثانوية العسكرية.
- قيام السلطات الفرنسية بتعميد وتنصير الآلاف من الأطفال الجزائريين بين 1867 و 1868⁽³⁶⁾.

فالتعليم إذن ارتبط في تصورات الجزائريين بهذه الأفعال ولهذا، فأسلوب المقاطعة الذي اتخذ لم يكن موجها ضد التعليم في حد ذاته؛ وإنما ضد الفرنسية تحديدا. والدليل على ذلك، أن الجزائريين أرسلوا أولادهم إلى المغرب وتونس وزوايا المرابطين في الجبال لتعليمهم، على اعتبار ذلك واجبا مقدسا، كما قاموا من جهة أخرى بالمطالبة بتأسيس المدارس لأبنائهم والاعتراف بحقهم في التعليم.

هذه المطالب كانت تأخذ الشكل الفردي أحيانا، والحزبي أحيانا أخرى، فمن المطالبين بالتعليم بصفة فردية مثلا محمد بن رحال ومحمد بن العربي⁽³⁷⁾، أما المطالب الجماعية فتولتها الأحزاب التي اهتمت بقضية التعليم وأدرجتها ضمن مطالبها السياسية، ونذكر منها: حزب نجم إفريقيا الشمالية، الذي كان من مطالبه، حق الجزائريين في التمتع بجميع مستويات التعليم وخلق المدارس العربية وجمعية العلماء المسلمين التي طورت هذا المطلب عام 1931 وانفردت بتنظيم المطلب التعليمي وطورته إلى مطلب جماهيري ويرجع إليها الفضل في تجسيد المطالب والتطلعات على أرض الواقع وأن تؤسس مدارس أصبحت نواة تعليم حر عصري منظم غير خاضع للإدارة الفرنسية.

هذا التعليم العربي كان يقابله التعليم الفرنسي الذي كانت تتميز سياسته التعليمية تجاه الجزائريين، بحصرها في أضيق الحدود من حيث العدد ونوعية البرامج التي كانت تقدم إليهم ونوعية الوسائل والميزانية المخصصة لهذا التعليم وكان الغرض منها تكوين " فئة " معينة من الموظفين في الإدارات الفرنسية " (38).

إن الذي جعل التعليم الخاص بالجزائريين فرنسيا مائة في المائة في المرحلة الابتدائية وفرنسيا % 99 في المرحلتين الثانوية والعالية لم يكن يهدف من وراء ذلك إلى تثقيف الجزائريين ورفع مستواهم العلمي والحضاري أبدا بل كان هم الأكبر هو صهرهم في البوتقة الفرنسية وفرض الفرنسية والاندماج والتجنيس عليهم، وقد كانت أول مدرسة فرنسية ابتدائية أنشئت لتعليم أبناء الجزائر هي " المدرسة الفرنسية الإسلامية " التي أنشئت في مدينة الجزائر في عام 1836 ثم أعقبتها في فترات مختلفة عدة مدارس.

غير أن التعليم الابتدائي بالنسبة للجزائريين لم يقع الشروع فيه بصفة منظمة إلا في عام 1850 حيث صدر مرسوم 14 يوليو (جويلية) الذي نص على إنشاء عدد من المدارس لتعليم أبناء الجزائريين، وفي عهد الإمبراطور " نابليون " الثالث (1870، 1852) زاد عدد هذه المدارس زيادة ملحوظة حيث بلغ مجموعها في نهاية الإمبراطورية سنة 1870 (36) مدرسة ابتدائية وذلك بعد مرور أربعين عاما على دخول الاحتلال إلى الجزائر كما ارتفع عدد تلامذتها من 646 تلميذا إلى 13000 تلميذا (39).

ففي عام 1944 قدم مدير أكاديمية الجزائر تقريرا عاما عن التعليم في الجزائر إلى لجنة "الإصلاحات الإسلامية " جاء فيه قوله : " بأن عدد الأطفال الجزائريين الذين يتلقون العلم في المدارس الابتدائية الفرنسية يبلغ 100 ألف طفل يتلقون دراستهم في 699 مدرسة تشمل على 1908 فصلا دراسيا ، أما عدد الأطفال الفرنسيين الذين يتلقون العلم في الفترة المذكورة فيبلغ 200 ألف طفل يتلقون دراستهم في 1400 مدرسة تشمل على 4200 فصلا دراسيا، هذا مع العلم بأن عدد السكان الجزائريين كان يقدر بحوالي 8 ملايين نسمة وعدد الأوروبيين يقدر بحوالي 800 ألف نسمة، وأن نسبة الأطفال المتعلمين بين أبناء الأوروبيين هي % 100 بينما لا تتجاوز هذه النسبة بين أبناء الجزائريين سوى % 8 فقط. " وبالجمله فإن حظ الفرنسيين من التعليم في المدارس الابتدائية يقابل 4.5 أمثال حظ الجزائريين منها (40).

خلال هذه الفترة حاول الاستعمار القيام بعملية خطيرة جدا وهي عملية الفرنسة والإدماج بواسطة تعليمه ونشر لغته واقتراح تخنيسه، فتفطن لهذا الخطر الشيخ عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - فرد عليه وقال

شعب الجزائر مسلم والي العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا له رام المحال من الطلب

وكادت اللغة العربية أن تضمحل في أرضها ومعها الشخصية الجزائرية المسلمة لولا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في 05 ماي 1931 والتي شرعت في فتح مدارس ابتدائية حرة فبلغ عدد المدارس الحرة ما يقرب من 150 مدرسة إيماناً منهم بضرورة استرجاع اللغة العربية لمكانتها، كما قامت بتحديث المنظومة التعليمية التي انتقلت من المرحلة التقليدية إلى المرحلة الحديثة، وأصبح التعليم وظيفياً، وفي المقابل بذلت الإدارة الفرنسية كل ما في وسعها لعرقلة تأسيس هذه المدارس وأغلقت الكثير منها (41).

والمدرسة كما يراها ابن باديس "هي المصنع الذي يصنع عقول الأجيال الصاعدة ويعد القادة والمفكرين الذين يقومون بعملية التغير الثقافي والحضاري في المجتمع". أما الإبراهيمي فيري "أن المدرسة هي جنة الدنيا والسجن هو نارها" والأمة التي لا تبني المدارس تبني لها السجون" (42). إن تعليم أبناء الجزائر ذكورا وإناثا طول فترة الاحتلال ظل يتأرجح بين القبول والرفض وهذا يعود إلى عاملين رئيسيين:

➤ **العامل الأول وطني :** ويتمثل في عدم رضي الجزائريين عن التعليم الذي كانت فرنسا توفره وأبناءهم في المدارس الفرنسية القليلة التي أنشأتها لتعليمهم لأنه تعليم خال من اللغة العربية والدين الإسلامي والتاريخ العربي الإسلامي للجزائر، وإلى كل ما يربط الجزائر بالعالمين العربي والإسلامي بصلة، وبذلك فهو أجنبي وفي فلسفته وأهدافه ومناهجه ولغته، وهذه الأمور كلها تتعارض مع مقومات الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري ولذلك وقف الجزائريون موقفاً حذراً منذ البداية.

➤ **العامل الثاني استعماري:** وهو يعود إلى خوف فرنسا من خطر نشر التعليم على نطاق واسع بين الجزائريين على وجودها في الجزائر، حيث يمكن السيطرة على الشعب الجاهل بسهولة ويسر، وتسخير في خدمة الاستعمار وأهدافه بخلاف الشعب المتعلم (43).

➤ **بعد الاستقلال:** اهتمت السلطات الرسمية في البلاد بهذا القطاع ورأت فيه عنصرا يدعم شرعيتها وأداة لتحقيق السياسة التنموية التي انتهجتها، كما رأى فيه الأفراد مطلباً شرعياً يحقق لهم طموحاتهم بفتح آفاق التعليم والعمل ولتحقيق هذه الأهداف تبنت الدولة سياسة تتمثل في:

- ديمقراطية التعليم ومجانيته .
- الجزارة . التعريب . التوجه التقني والعلمي .

وهذا لإقرار مبدأ تكافؤ الفرص وإعادة إحياء الشخصية الوطنية وتحقيق تنمية اقتصادية شاملة يكون عمادها الإطارات واليد العاملة المؤهلة الجزائرية، وفي هذا السياق، يقول الباحث ع. بلحسن: "لتوحيد وتحديث المجتمع، اعتمدت الدولة على تدويل التعليم والتكوين وتعميمه ودمقرطته وإضفاء الطابع العلمي والتقني على مضامينه ووسائله بإدخال مواد علمية وتقنية كمواضيع مسيطرة على مسار وتوجهات التمدرس والصعود الاجتماعي (44).

وهكذا فتحت المجالات أمام المكونين وأنشأت المدارس والجامعات والمعاهد وتخرج الإطارات، وضمنت لهم الدولة الوظيفة والسكن وقدمت لهم الكثير من التسهيلات والإمكانيات لتطوير قدراتهم وإمكانياتهم مثل مزاوله الدراسات العليا بالوطن أو خارجه.

وكان الإطار السياسي في ذلك الوقت، يسمح بضمان هذه الحقوق، فاستفادت الكثير من الأسر من خلال أبنائها على امتيازات مادية ورمزية واجتماعية وأصبحت المدرسة تمثل الوسيلة الأساسية للترقية الاجتماعية للأجيال الجديدة". فقد نجحت السلطة السياسية في توصيل الأجيال والمعارف والرؤى الجديدة إلى المناطق الريفية والمعزولة وأصبحت المدرسة والتعليم في عرف المواطنين والنخبة وسيلة ممتازة للرقى الاجتماعي والمهني والمادي وأداة هامة للصعود والحراك الاجتماعي (45).

وقد تم اتخاذ إجراءات لتعريب المدرسة وهذا بالنسبة إلى كافة المستويات من الابتدائي إلى العالي إذ في سياق تحقيق مطلب الجزائريين الوجداني والتعبير عن الإرادة في التفتح على أصناف المعاصرة الفكرية والاجتماعية حاولت الدولة من خلال لقيام " بانجاز تاريخي لتأصيل الثقافة والهوية.

وقد تم ذلك فعليا، وأحدثت المدرسة الأساسية في الثمانينات، إلا أن التعليم العالي استمر في انتهاج ثنائية اللغة، علوم اجتماعية معربة وعلوم دقيقة وتكنولوجيا مفرنسة، مما خلق تفرقة اجتماعية بتخصيص ميدان لكل لغة، اللغة العربية للميادين الأدبية والاجتماعية واللغة الفرنسية للميادين الاقتصادية والمالية والعلمية .وهو ما خلق جوا من عدم الرضي والاحتجاج، أدى إلى اضطرابات تطالب بالتعريب الفوري للجامعة⁽⁴⁶⁾.

وبدأت التساؤلات حول دور المدرسة وحول فعاليتها ومكانتها ضمن مشروع المجتمع، مع ظهور الأزمة المالية في 1986 وتدهور سعر البترول وتفاقم البطالة وضعف مردود النظام التعليمي وما ترتب عن ذلك من أزمات جعل الدولة تعجز عن التكفل بالمطالب والامتيازات السابقة لحاملي الشهادات الجامعية، وبينما كان نظام التكوين والتربية الوسيلة المثلى لنموذج التنمية المطبق منذ الاستقلال، بدأت منذ التسعينات إعادة النظر في هذه الإستراتيجية التنموية، وبدأت الصراعات الإيديولوجية السياسية حول مختلف القضايا مثل محتوى التعليم وتدريس اللغات وتدني مستوى المكونين، وبدأ الإجماع الاجتماعي فيما يخص التعليم، يتصدع والطابع الجذاب للمدرسة يفقد بريقه بازدياد عدد الراسبين والمهمشين والخريجين الذين لم يجدوا مناصب عمل.

إن الأزمة السياسية التي عاشتها الجزائر بدءا من التسعينات كان من تبعاتها أن أصبحت المدرسة فجأة محل لعنة غالبية النخبة والمجتمع المدني، فوجهت أصابع الاتهام للمنظومة التربوية الجزائرية فمنهم من نعتها بالملكوكة ومنهم من لم يتردد في القول انها منبت الإرهاب.

ومن هذا المنطلق، حملت المدرسة مسؤولية الأزمات الاجتماعية والسياسية التي طبعته تاريخ الجزائر طيلة فترة ما بعد الاستعمار؛ فجعلت الكثير من الشباب يفقد الثقة في المدرسة ويعتبر أنها تنتج تفاوتات اجتماعية عن طريق التفرقة اللغوية بين الفروع العلمية والأدبية، بين معربين ومفرنسين ومهمشين الفئة الأولى على حساب الثانية، كما اعتبرها آخرون ذات طابع محافظ لا تتماشى مع التحولات العالمية.

وهكذا شرعت الجزائر في تحويل المنظومة التربوية بحيث تمثل أحد أهداف هذا الإصلاح في تأمين تربية جيدة النوعية للتلاميذ في مختلف المستويات وتحسين نتائج التعليم وزيادة مردودية المدارس ومحاولة المحافظة على ثقة وتصورات المجتمع لها وذلك من خلال القيام بوظائفها الأساسية .

V. خاتمة:

إنه بالرغم من التطور الحاصل في مجال المعرفة وكيفية استقائها وبالرغم من الصعوبات والمشكلات التي واجهت المدرسة الجزائرية إلا أن تصورات المجتمع والوالدين لوظيفة المدرسة تؤكد على أن المدرسة ما زالت تقوم بوظائفها الموكلة لها من قبل المجتمع وما زالت تحافظ على مكانتها فهي المؤسسة الاجتماعية الوحيد القادرة على أن تقدم للأفراد تعليما نظاميا متدرجا حسب السن والقدرات المعرفية .

فالمدرسة تكتسي أهمية متزايدة في نظر الأسر إذ هي لا تمتلك فقط مفاتيح المستقبل، بل لاشك أنها تلعب دورا حاسما في تكوين شخصية الشباب وفي تنشئتهم الاجتماعية .فهي تستقبل الأطفال في سن مبكرة، وهي بذلك تتقاسم مع الأسرة مسؤولية تربيتهم التربية الأولى ومسؤولية تنشئتهم التنشئة الاجتماعية الأساسية، فالمدرسة هي محور المنظومة التربوية فيما يخص إيصال المعرفة والإدماج الاجتماعي.

إذن فالمدرسة تمثل مجموعة أبعاد لدى الأسر، فهي الشريك الأساسي للأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، وهي المستقبل، والوظيفة، والمعرفة .لذا فهم ينتظرون منها، أن تقوم بدورها في تنشئة الأبناء أخلاقيا وتكوينهم معرفيا وتبرز مواهبهم، فدور المدرسة مهما في بناء وتكوين وخلق كوادر قادرة ومؤهلة لدفع عجلة التقدم والحراك الاجتماعي إلى الأمام، والمجتمع بصفة عامة والأسرة بصفة خاصة .

المدرسة بوصفها مؤسسة تربوية أخلاقية سيقدر لها البقاء والاستمرار مهما اعتراها من تحول وتبدل وتغير، ذلك لان التاريخ يعلمنا أن الحضارة لا يمكنها أن تستمر في الوجود من غير دفعة إنسانية أخلاقية روحية ،والمدرسة معنية اليوم بتفجير طاقة الروح والانسة الضرورية للحضارة والإنسانية وفي هذا يقول مارتن لوتر مؤكدا علي الجانب الإنساني في الحضارة "أن سعادة الأمم لا تتوقف علي كثرة دخلها ولا علي قوة حصونها او جمال مبانيها العامة،ولكنها تتوقف علي عدد المثقفين من

أبنائها وعلي رجال التربية والعلم والأخلاق فيها"، وهذا يعني أن الحضارة لا تكون من غير روح وروح الحضارة تكمن في الجرعة الإنسانية التي يجب على المدرسة أن توفرها للأجيال والناشئة.

❖ هوامش البحث:

- (1) محمد خالد(2001): التربية الشبابية وأنماط التنشئة، مجلة النبأ، عدد55، ص7.
- (2) Y.Maâche, M-S. Chorfi , A. Kouira ,(2002) Série de **conférences sur la _representation. sociale**; un concept a carrefour de la psychologie sociale et de la sociologie éditions del'université.Mentouri.Constantine. p7.
- (3) المنجد في اللغة والأعلام (1991). بيروت : دار المشرق، ص746.
- (4) جميل صليبا(1971)، المعجم الفلسفي، بيروت: دار المشرق.
- (5) Serge Moscovici (1976)“**La psychanalyse, son image et sa public**“ Paris : Ed:PUF; P40.
- (6) Durkheim Emile(1997): **Sociologie et philosophie**, Paris : Puf, P113
- (7) محمد جمال صقر(دون سنة)، اتجاهات في التربية والتعليم، مصر: دار المعارف، ص ص 93-100.
- (8) مراد زعيم(2006):مؤسسة التنشئة الاجتماعية، عنابة، الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار، ص124.
- (9) رابع تركي(1990)، أصول التربية والتعليم، ط2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص187.
- (10) عبد القادر فضيل(2009)، المدرسة في الجزائر حقائق وإشكالات، تقديم عبد الحميد مهري، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، ص12.

(11) وطفه على أسعد (1998)، علم الاجتماع التربوي وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، ط 2، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع، ص 167.

(12) عبد العزيز ديلمى (2013)، وظائف ودور المدرسة في الوقاية من جنوح الأحداث، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، العدد 10، ص 6 جامعة حسينية بن بوعلي، الشلف.

(13) قاسم عبد الله: وظائف المدرسة من منظور اجتماعي، 15/04/2014،

<http://assawsana.com>.

(14) وفاق صفوت مختار: المدرس والمجتمع والتوفيق النفسي للطفل، دار العلم والثقافة للنشر، القاهرة، 2003، ص(76)

(15) سورة فصلت، الآية، (34،35).

(16) سورة آل عمران، الآية، 135.

(17) عبد المجيد بن عدة (2005/2004)، الخطاب النهضوي في الجزائر-1925،1945- أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، ص ص 360،361.

(18) علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، مرجع سبق ذكره، ص 105.

(19) مرجع سابق، ص 103.

(20) كريم حميدوش (2009)، إصلاح لتعليم بالمغرب ،المدخل الوحيد لتحقيق التنمية البشرية، المغرب: ص 06.

(21) Association française de cliometrie working papers n 10 2006 p 11.

(22) علي اسعد وطفة: علم الاجتماع التربوي، مرجع سبق ذكره، ص ص 103-104

(23) المرجع السابق، ص ص 103-104.

- (24) علي أسعد وطفة (2011)، رأسمالية المدرسة في عالم متغير، الوظيفة الاستلاكية للعنف الرمزي والمناهج الخفية، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص221.
- (25) عبد الكريم غريب(2009)، سوسولوجيا المدرسة، الدار البيضاء، منشورات عالم التربية، ص175.
- (26) زكرياء إسماعيل ابو الضبعات (2009): الديمقراطية وفلسفة التربية، دار الفكر، عمان، الأردن: ص189.
- (27) مصطفى محسن(2002)، في المسألة التربوية ،نحو منظور سوسولوجي منفتح، ط2، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص58.
- (28) عبد القادر تومي (2010)، التربية والمجتمع في زمن العولمة وأسلحة الأولويات، نحو رؤية تحليلية،مجلة التربية والابستمولوجيا، العدد70 يوليو لجزائر: جامعة بوزريعة، ص7.
- (29) بلقيس غالب الشرعي(2007)، دور المشاركة المجتمعية في الإصلاح المدرسي، دراسة تحليلية،دراسة مقدمة لمؤتمر الإصلاح المدرسي تحديات وطموحات، دبي: جامعة الإمارات المتحدة العربية،17-19 افريل، ص20
- (30) محمد بن عبد الله الدويش: إمكانيات مدارسنا، 28/03/2014
<http://www.almurabbi.com>
- (31) علي أسعد وطفة :ازمة المدرسة وتناقضاتها،دكتاتورية الديبلومات15/02/2014
<http://www.almostshar.com>
- (32) ابو قاسم سعد الله (د ت)، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني1930،1900، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص60.
- (33) أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص61.
- (34) تركي رابع (د ت)، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص144.

- (35) تركي رايح: مرجع سبق ذكره، ص 144.
- (36) مصطفى الأشرف(1983)، الجزائر الأمة والمجتمع، ت رجمة حنفي بن عيسي،الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ص415.
- (37) عبد القادر جغلول(1971)، تاريخ الجزائر الحديث. دراسة سوسولوجية، تر:فصل عباس، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر، ص145،144.
- (38) رايح تركي (د ت)، التعليم القومي والشخصية الوطنية، مرجع سبق ذكره، ص145.
- (39) ابو قاسم سعد الله(1990)، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص 23.
- (40) تركي رايح (1984)، "وضع النساء و الفئات الجزائريات في التعليم" .. مجلة الثقافة، العدد، 84 الجزائر: ص178.
- (41) أحمد مريوش (2013)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزء1، كنوز الحكمة، ص ص 99،98.
- (42) عبد المجيد بن عدة، مرجع سبق ذكره، ص ص 137،136.
- (43) تركي رايح:وضع النساء والفئات الجزائريات في التعليم، مرجع سبق ذكره، ص177.
- (44) المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم: النظام التربوي والمناهج التعليمية، الجزائر، 2004، ص53. <http://www.infpe.edu.dz>
- (45) عبد الحق عباس: الجزائر ترفع التحدي، <http://www.chihab.net/modules.php> 2016/03/14
- (46) ميلاد رفيق(2010)، تطور التعليم الثانوي وآفاقه في الجزائر وبقية دول المغرب العربي، الجزائر: دار الكتاب العربي، ص17.